العدد 1586 - السنة السادسة
الجمعة 5 شعبان 1434 - الموافق 14 يونيو 2013
Friday 14 June 2013 - No.1586 - 6th Year

قراءة في ديوان البواردي

تجربتي مع الشعر الشعبي

■ هذا الديوان يجعلنا لا نتفاءل بنجاح تجارب شعراء الفصيح في مجال الشعر الشعبي !!

قاسم الرويس

عبدالله السميح

الأمير عبدالله الفيصل

البواردي

■ قرأ الشيخ عبدالله بن خميس «ألفية» البواردي وقال عنها: إنها تجربة فاشلة !!

اطلعت قبل أيام على دواوين شعر شعبي للأديب الكبير سعد البواردي تحت عنوان (تجربتي مع الشعر الشعبي) وأخشى أن يكون في هذا الدويوين سر الإجابة على أسئلة المهتمين في عدم حرص الأدباء على نشر شعرهم الشعبي مجموعاً أو منجماً!!

والأديب البواردي يعتبر شعره في هذا الديوان تجربة ولج إليها صدفة بدون إعداد ولا استعداد حين وجد نفسه يدندن ببيتين من الشعر العامي !!

ورغم ذلك فيظهر لدى الأستاذ شك في نجاح هذه التجربة الإبداعية مما قد يعني عدم قناعته بها، حيث قال في إهدائه:"أهدي أول تجربة ولا أقول ناجحة في الشعر الشعبي" وأقول: لست في حاجة إلى التجارب الفاشلة في مثل هذا العمر أيها الأستاذ!! إلا إذا أردت بهذا الديوان تذكيرنا بقول ابن حمديس:

أَنـا فـي الـثَـمـانـيـن الَّـتـي فَـتَـلَـتْ بِـهـا
قَـيْـدي الـزمـانـةُ عِـنْـدَ ذلّ قِـيـادي
أَمـشـي دَبـيـبـاً كَـالـكَـسـيـر وَأَتَّـقـي
وثـبـاً عـلـيّ مِـنَ الحِـمـام الـعـادي
ذَبُـلـت مِـنَ الآداب روضـتـيَ الَّـتـي
جُـلِـيَـت نَـضَـارتـهـا عـلـى الـرُوَّادِ

ولأنني أعرف أن والد الأستاذ هو الشاعر الشعبي الكبير عبدالرحمن البواردي الذي قال ذات عرضه:

يـا أهـل الـديـرة الـلـي طـال مـبـنـاهـا
مـا بـلادٍ حـمـاهـا طـول حـاميـهـا
المـبـانـي تـهـاوى كـل مـن جـاهـا
مـا يـفـك المـبـانـي كـود اهـالـيـهـا
كـان مـا تـفـزع الـيـسـرى لـيـمـنـاهـا
اعـرف ان مـاوطـا هـذيـك واطـيـهـا
راعـي الـبـوق بـالـنـيـات يـلـقـاهـا
مـن حـفـر حـفـرةٍ لازم يـقـع فـيـهـا

والحقيقة أن عمالقة الشعر النبطي حين يقارنون قصائدهم بمثل هذه القصيدة يترددون في إظهار كثير منها لأنهم يتهازلونها، واستغرب بعد ذلك كيف استطاع ابن هذا الشاعر نشر تجربته على الملأ وهو يعلم علم اليقين أن مقارنة شعره بشعر أبيه أمر لا بد منه..

ولأن الأستاذ لم يؤرخ لهذه التجربة في المقدمة أو عند عرض القصائد فإن تجربته مع الشعر الشعبي حسب علمي تمتد إلى ما يقارب الثلاثين سنة حين نشر تجربته الأولى وهي القصيدة الألفية وقال عنها بأنها آخر تجربة وبأنه ليس من فرسان هذا الميدان، وأهداها إلى الشيخ عبدالله بن خميس للاستئناس برأيه فيها وقد جاءت هذه القصيدة في «ص 77» كآخر قصائد الدويوين الذي بين أيدينا ومن أبياتها:

«الـشـين» شـاب الـقـلـب.. شـعـري بـمـا فـيـه
مـا عـاد تـشـجـيـنـي.. وتـحـيـي قـوافـيـه
الـسـيـف عـنـدي مـغـمـد فـي خـوافـيـه
«الـصـاد» صـد الـحـب.. مـر.. وقـاسـي
يـا لـيـت مـن اسـقـي يـكـرع بـكـاسـي
نـاسـي.. ويـا ويـحـي عـلـى جـرح نـاسـي
«الـضـاد» ضـاقـت بـي عـلـى الـدار حـيـطـان
فـقـر عـلـى الـدنـيـا.. و«غـبـن» و«شـيـطـان»
و«عـيـاف» نـاس.. وين أروّح يـالأخـوان؟»
«الـطـاء» طـال الـلـيـل.. أشـكـي حـيـاتـي
مـن ركـعـة» لـركـعـة فـي صـلاتـي
كـنـي بـعـيـر ظـامـي فـي فـلاتـي

وبعد أن قرأ الشيخ عبدالله بن خميس «ألفية» البواردي قال عنها: "إنها تجربة فاشلة، كنت أظن أن الأستاذ الشاعر سعد البواردي سوف يكون شعره الشعبي جيداً أو قريباً من الجودة بحكم أن شعره الفصيح جيد.. وقد مارس الشعر منذ زمن طويل وأبدى فيه وأعاد وخاض تجربته بما له من إلهام وقوة نظر في هذا المجال وبما لوالده رحمه الله من قدح في هذا المجال قل أن يجاريه فيه غيره والعصي من العصية ويندر أن يوجد في بيئته ومحيطه من يجاريه في هذا المجال وبما أن الأسرة كلها أو جلها أسرة شعر لهم من الجودة والمكانة الشعرية في المجال الشعبي ما لا يخفى وبما ان الرجل سعد بن عبدالرحمن البواردي عاش في هذا المحيط وتقلب في هذه البيئة كنت أظن بل أكاد أجزم أن شعره الشعبي سوف يكون جيداً وقوياً ومتيناً ولكن ويا للأسف وجدت هذه الألفية كما سماها صاحبها باردة متخاذلة لا تعدو أن تكون رصف كلام لا يخرج عن تجربة متخاذلة فقوة المعنى وقوة المبنى وقوة الشعر الذي يرجى من مثله لا تلمسه فيها وماذا تجد فيها غير رصف كلام لا يؤدي غرضاً ولا يمت إلى روح الشاعرية بصلة، قرأتها وقرأتها فلم أجد غير رصف كلمات مكرورة وجمل مبتورة تفقد الطعم والرائحة واللون وإذا أطاعني صاحبي الأستاذ سعد البواردي فليعتبر هذه إلى الأبد وإذا شاء معاودة التجربة فليعادوها حتى يستقيم له شعره ويطيب إنتاجه ويجاري شعر الآخرين ولو مجاراة ودعك من التبريز وإلا فليدع الشعر إلى غير رجعة ولينظمه شعراً فصيحاً صحيحاً موزوناً مقفى فهو المجال الذي يجيد فيه ويلذ طعمه وتطيب رائحته ولا غضاضة ولا مشاحة:

حسين سرحان

■ نشر تجربته على الملأ وهو يعلم أن مقارنة شعره بشعر أبيه أمر لا بد منه!!

■ قام بضبط كلمات الأبيات بالشكل وعمد إلى التعريف ببعض الكلمات العامية كهوامش صغيرة في نهاية كل قصيدة ولكن رغم ذلك (ما فيش فايدة)!!

إذا لـم تـسـتـطـع شـيـئـاً فـدعـه
وجـاوزه إلـى مـا تـسـتـطـيـع !

ولقد محضتك النصح يا أخي سعد وقلت ما أعتقده في هذا المجال ولا أراك تتهمني في إخلاصي ولا أراك أيضاً تتهمني برداءة الذوق أو قلة المعرفة في هذا المجال وحسبي أنني قلت كلمتي وحسبك أنك قرأتها وحسبك أنك سوف تقف منها موقف المنصف والله يرعاك" «مدن الشعر ،عبدالله الزازان المجلة الثقافية العدد88»

وقد نشر البواردي بعد ذلك قصيدة المغرور التي جاءت في «ص 56» من الديون ثم نشر قصيدة «عروس الشعر» التي جاءت في «ص » 50 من الديوان والتي أهداها إلى ابن خميس أيضاً.

وقد احتوى الديوان الصادر هذا العام عن دار المفردات على ثلاثين قصيدة! وجاء في 99 صفحة من الحجم الصغير متضمنا إهداءً ومقدمة عدد كلماتها حوالي 65 كلمة فقط!!

ومن أبيات قصيدة «المكشات» ص21:

يـا نـاقـتـي مـدي خـطـاويـك لـلـريـح
لـي صـاحـب يـقـطـن عـلـى حـاجـر الـشـيـح
قـادد مـن الـنـجـمـة لـبـيـتـه مـصـابـيـح
واخـد مـن الـخـيـمـة. وبـرانـه الـدار

وقال في قصيدة «يادیرتي» ص45:

يـا ديـرتـي جـعـل الـحـيـا مـا يـعـديـك
وينـصـرك يـاديـرتـي ضـد أعـاديـك
قـلـبـي يـحـلـق فـي مـتـاهـة صـحـاريـك
يـبـوس رمـلـك يـجـتـلـي مـن بـراريـك

وقـال فـي قـصـيـدة «الـحـب» ص49:

يـا عـيـن لا تـبـكـي
الـحـب مـش أحـزان
عـهـد الـبـكـا ولـى
والابـتـسـامـة حـان[كـذا]

وقـال فـي قـصـيـدة «المـديـون» ص59:

يـالـلـهْ يـامـنْـعِـمْ عـلـى الـنـاسْ نِـعـمَـيْـنْ
نعمَهْ مِـن الـصِّـحـهْ ...ونِـعـمَـهْ أمَـانْ[كـذا]
تـقـضـي عـن المحـتـاجَ مـن فـضـلـك الـديـن
مـاعـز مـن دنـيـاه مـن الـديـن تـعـانـي [كـذا]

وفي نفس القصيدة يقول:

ويـن الـحـيـا.. والـفـقـر مـا سـابـنـي ويـن؟!
سـهـمـه مـع الـديـان.. ويـلـي.. رمـلـنـي
إن قـلـت لـه: اصـبـر، رمـى الـطـاق طـاقـيـن
وإن قلت لـه: مفلس، على الشيخ شكاني

والأستاذ قام بضبط كلمات الأبيات بالشكل وعمد إلى التعريف ببعض الكلمات العامية كهوامش صغيرة في نهاية كل قصيدة ولكن رغم ذلك «ما فيش فايدة»!!

يقول الأستاذ عبدالله السميح «المجلة العربية العدد397» :"تورط بعضٌ من شعراء الفصحى في كتابة نصوص عامية ما هي إلا مسوخ شوهاء من نصوصهم الفصيحة، وهذا الإخفاق أمر بديهي ومتوقع و في نظري أنه يعود لعدة أسباب أهمها: أن شعرية النص العامي والقصيدة النبطية تحديداً تعتمد على معجمها اللغوي الخاص وهو معجم تشكله مفردات الصحراء و تؤلفه ألفاظ البادية، وهذا المعجم الذي يمثله ديوان الشعر النبطي لم يكن يوماً من الأيام داخل دائرة اهتمام شاعر الفصحى المعرفية، مما جعله يفقد توازنه الإبداعي حينما حاول كتابة النص العامي، فصار نصه أمشاجاً بين العامية والفصيح"

ويقول السميح : "إن أولئك الشعراء الذين حاولوا كتابة القصيدة النبطية لم يصدروا عن تجارب إبداعية حقيقية كما هو الحال بالنسبة لنصوصهم الفصيحة وإنما كتبوا من باب التجريب والتمرين اللياقي لا أكثر" .

قلت: وهذا الديوان برهان يؤكد صحة كلام السميح، ويجعلنا لا نتفاءل بنجاح تجارب شعراء الفصيح في مجال الشعر الشعبي رغم وجود عدد من المبرزين الذين أجادوا في كليهما كالأمير عبدالله الفيصل وحسين سرحان وغيرهم.

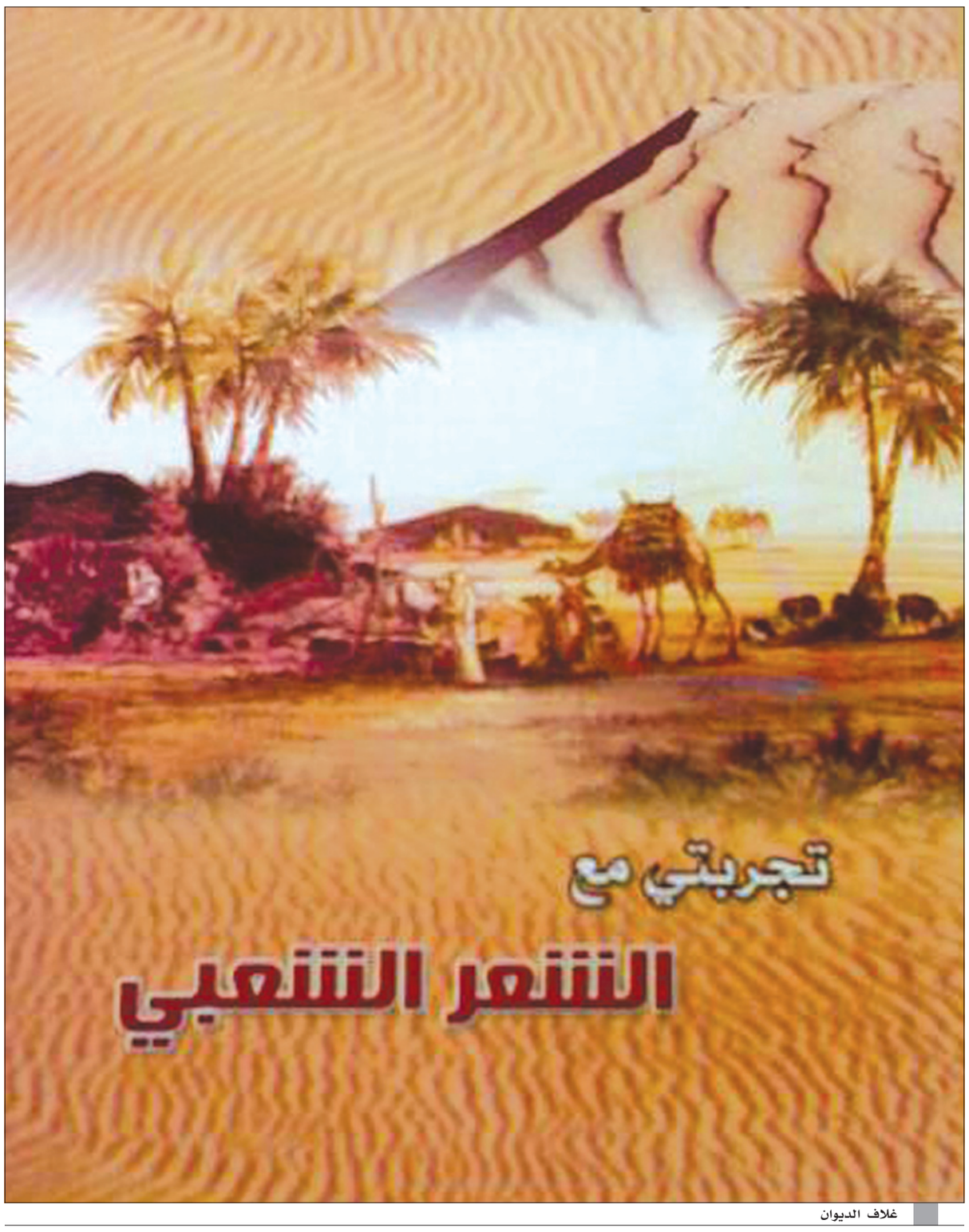

غلاف الديوان

■ لست في حاجة إلى التجارب الفاشلة في مثل هذا العمر أيها الأستاذ !!

■ حاول كتابة النص العامي فصار نصه أمشاجاً بين العامية والفصيح!!